روضة الحكايات!!

(١)

فذاكَ (اللَّيثُ) من يحمي حَماها

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

اقتراح موفّق ومقبول..

في أواخِرِ السنةِ الدراسيةِ ، غابَ (سعيد) عن المدرسةِ ، فانشغلَ بالُ أصدقائِه عليه ، لكنهم لم يعرفوا سببَ غيابِه... ، وفي الفراغِ بين حِصَصِ الدراسةِ أبلغَهم مديرُ المدرسةِ بأنّ (والد سعيد) قد اتصلَ به عن طريقِ الهاتفِ ، وطلبَ له إِذْناً ، وذلك بسببِ ارتفاعِ درجةِ حرارةِ جِسْمِهِ ، مما اضطرَّهُ للنومِ في الفِراشِ...

وتشاوَرَ الأصدقاءُ ، ثم اتفقوا علىٰ أن يلتقوا في بيتِ والدِ سعيدٍ بعدَ صلاةِ المغربِ ، وبالفعل كان اللقاءُ في مَسْجِدِ الحيّ ، وانطلقوا إلىٰ بيتِ والدِ

سعيدٍ وكلٌّ منهم قد حَمَلَ معه هديةً صغيرةً متواضعةً..

ولما قَرَعوا بابَ البيتِ ، استقبلتْهُم والدتُه بكلِّ تَرْحابٍ ، ثم أَذِنَتْ لهم بالدخولِ ، و... انطلقتْ والدتُه إلىٰ المَطْبخِ ، وأحضرتْ لهم الشرابَ البارِدَ ، مع بعضِ أنواعِ الحلوىٰ التي صنعتْها بيدَيها... ، ولما دخلتْ لتُقدِّمَ لهم ذلك وَجَدَتْ ابنَها قد تَركَ الفِراشَ وجلسَ بين أصدقائِه... وراحَ يَضحكُ... ويَمْزَح و..!

فقالت له : يا بُنيّ! قبل قليلٍ كنتَ تتألّمُ وتَستغيثُ... وها أنت الآن تَضْحَكُ وتَمرحُ وكأنّ شيئاً لم يكنْ ، ماذا غيّركَ الآن؟!

ضَحِكَ (جمعة) وقال : نعم يا خالةُ ، فالواحدُ منّا ينسىٰ كلَّ شيءٍ عندما يرىٰ أصحابَه وأحبابَه ، حتىٰ المَرضَ و...!!

قدّمتْ الوالدةُ لهم الضيافةَ وهي تدعو لهم بالتوفيقِ والنجاحِ والسّيرِ علىٰ الطريقِ القَويمِ ،

وأن يكونوا رُوّادَ النجاحِ والفَلاحِ.. في الدنيا والآخرة .

... وبعدَ تداولِ أحاديثِ الدراسةِ واللعِبِ ونحوِ ذلك ، قال (لؤي) : لم يَبْقَ علىٰ انتهاء المدرسة إلا أيامٌ معدودةٌ ، فما هي اقتراحاتُكم للعملِ في هذه العطلةِ الصيفيةِ؟! هل سنُمضي الوقتَ في اللهوِ واللعِبِ فقط ، أم نَضَعُ برنامجاً منظّماً للاستفادةِ من العطلةِ الصيفيةِ؟!

وراحَ كلٌّ منهم يُدْلي برأيِه.. ويقترحُ اقتراحاً ما... وكانوا يتناقشونَ في سلبياتِ كلِّ اقتراحٍ وإيجابياتِه... ، وأخيراً اتفقوا علىٰ اقتراحِ صديقِهم (خالد) والذي يتلخّصُ بما يلي :

١- نقومُ بالتسجيلِ في المَعهدِ المسائي التابعِ للمَسجِدِ .

٢- ومع حِفْظِ القرآنِ والأحاديثِ ، نَعمدُ إلىٰ نشاطات ثقافية أخرىٰ .

وأهمُّها : أن يقومَ كلُّ واحد منا بتحضيرِ دراسة وافيةٍ عن رمزٍ من رموزنا التاريخية ، وخاصة عن الفقهاءِ والعلماءِ والمحدِّثين ، ويكتب ذلك في دفترٍ صغيرٍ ، ثم يختار أيّ أمسية يُريد ، وذلك لإلقاءِ محاضرةٍ عامةٍ ، فيستفيد هو ويستفيد الآخرون كذلك ، وبذلك يعمُّ النفعُ والخيرُ الجميعَ ، ويتعوّدُ كلُّ واحدٍ منّا علىٰ البحثِ والمطالعةِ والكتابة...

فقال (صالح) : ولكن ، مَنْ سيقومُ بذلك أوّلاً؟!

فقال (سعيد) : إنْ أحببْتُم فسأقومُ بذلك أنا.. لأكونَ كَبْشَ الفِداء ، وأتحمَّلَ النّقدَ من هنا وهناك!!

٣- تابع (خالد) : هذا إضافة إلىٰ البرامجِ الأخرىٰ ، كالرياضةِ والسباحةِ والرسمِ ونحو ذلك...

وقبيل أن يُودِّعوا صديقَهم وينطلقوا إلىٰ بيوتِهم ، دخلَ والدُ سعيدٍ ، ومعه أصدقاؤه

المعلّمون ليعودوا (سعيد) ، ويطمئنوا على حالتِه الصحية...

فلما رآهُم الطلابُ سكتوا.. والتزموا الأدبَ.. فنظرَ بعضُ المعلمين إلىٰ بعضٍ ثم قال أستاذُ اللغةِ العربية : ما لكمْ ساكتينَ علىٰ غيرِ عادتِكُمْ.. ، هل تَسْكُتون في البيوتِ... وتتكلمونَ في المدرسة؟!

فقال (جمعة) : لا يا أستاذَنا ، إنما كنّا نتحدثُ عن البرنامجِ الذي سنسيرُ عليه في عُطلةِ الصيفِ ، وسكتْنا احتراماً لأساتذتنا المحترمين..

استمعَ المعلّمون لما جرىٰ بين الطلابِ من اقتراحاتٍ ومناقَشاتٍ ، وسَعِدوا كثيراً لذلك ، ووعدوهم بمساعدتِهم ، وأما أستاذُ التاريخِ فقد وعدَهم أن يأخذَ الكتابةَ منهم ويُصَحِّحَها.. ثم يجمعَها في كتابٍ ليكونَ فيه النفعُ للجميعِ...

وفي البداية كان (سعيد) محاضراً!!

ودارَ الزمنُ دورته ، وانتهتْ أيامُ المدرسةِ ، وجاءتِ العطلةُ الصيفيةُ ، وفتحَ معهدُ تحفيظِ القرآنِ في المسجدِ أبوابَه للراغبينَ في التسجيلِ...

وفي ليلةِ الجمعةِ كان اللقاءُ رائعاً ، فقد اجتمعَ الأصدقاءُ في رِحابِ المَسجدِ... وتبادلوا التبريكاتِ بالنجاحِ فيما بينهم ، وتذكَّروا ما اتّفقوا عليه يوماً ما في بيتِ (سعيد)... .

وابتسم (سعيد) وقال : لا تَظُنّوا أنني قد أخلفتُ وعدي ، فها هي المحاضرةُ في جيبي ثم قال : إذا أحببتُم ـ وأخرجَ من جيبِه دفتراً صغيراً ـ ورغبتم فسألقي عليكم المحاضرةَ الآن.. !

فقال (صالح) : أبداً ، فلا بدَّ من مشاورةِ إدارةِ

المعهدِ.. ، وتحديدِ الموعدِ لذلك..

وبالفعل أُعْلِنَ عن المحاضرةِ ، وحُدِّدَ مساءُ يوم الإثنين موعداً لها ، وذلك في قاعةِ المحاضراتِ التابعةِ للمَعهدِ الشرعيِّ ، وكانت الدعوةُ عامة..

... ولما اقتربَ الموعدُ... نظرَ (أبو عُمير) إلىٰ وجهِ ولدِه (سعيد) ، وراحَ يُشجّعُه علىٰ الثباتِ والهدوء.. ، بينما راحتْ والدتُه (أم عُمير) تَضَعُ يدَها علىٰ كَتِفِه وتدعو اللهَ له بالتوفيقِ والسّداد...

* * *

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

وقف (سعيد) وراء (الميكريفون) ، وبعد أن حَمِدَ الله وصلىٰ علىٰ رسولِه ، قرأ قولَه تعالىٰ : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

ثم قال : حديثُنا اليوم يدورُ حولَ واحدٍ من الجيلِ المسلمِ الأول ، هو (الليث بن سعد) رحمَه الله . وُلد في مصر ، عام (٩٤هـ) ، وأخذ يتعلّم القرآنَ الكريم ، ثم انفتحَ علىٰ علوم الحديث والفقهِ وعلومِ العربية وما إلىٰ هنالك .

ولازمَ كبارَ علماءِ زمانِه ، كالزُّهْرِيّ وغيره ، حتىٰ أصبحَ عالماً يُشار إليه بالبَنانِ ، وفتحَ الله

عليه من العلمِ الشيءَ الكثيرَ ، حتىٰ أخذ يُفتي وهو لم يتجاوزِ العشرين بَعْدُ!

بل أصبحَ قُطْباً من أقطابِ الإصلاحِ.. وصار له دورٌ كبيرٌ في حَلّ مشاكلِ الناس أجمعين .

وإليكم هذه القصةَ الرائعةَ ، والتي حَدَثَتْ في قَصرِ (هارون الرشيد) :

جرىٰ بين (هارون) وابنةِ عمه (زبيدة) مناظرةٌ ومناقشةٌ ، فأغضبتْه (زبيدة) ، فما كان منه إلا أنْ قال : أنتِ طالقٌ إنْ لم أكنْ من أهلِ الجنة ، ثم نَدِمَ علىٰ مقولتِه ، وأُحضِرَ العلماءُ والفقهاءُ إلىٰ القصر ، وراح (هارون) يتحدثُ معهم بشأنِ ما حَدَثَ ، ولم يستطعْ واحد منهم أن يَجِدَ مخرجاً للمشكلة .

... ولما حان دورُ (الليث بن سعد)... وقفَ أمامَ الناسِ... وفي حَضرةِ الخليفة ثم قال : أحْضِروا إليّ المصحفَ وأعطوه للخليفة .

فأخذه (هارون) ، فقال (الليث) : فليتصفَّحِ الخليفةُ سورةَ الرحمٰن...

وراح (هارون) يقرأ السورة ، حتىٰ بلغ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

قال الليث : قِفْ يا أميرَ المؤمنين هاهنا ، فوقفَ ، فقال : يقولُ الخليفةُ والله! فاشتدَّ ذلك علىٰ (هارون) ، لكنه سكتَ وصَبر ، ثم قال : واللهِ ، فقال الليثُ : قلْ واللهِ إني أخافُ مقامَ الله ، فقالها هارون ، فقال : إنهما جنتان وليست بجنّةٍ واحدة... ، فصفّقتْ (زبيدة) وصفَّقَ معها النسوةُ... من الفرحِ... .

فقال (هارون) : أحسنتَ واللهِ ، باركَ اللهُ فيك... ، يا شيخُ اختَرْ ما شئتَ وسَلْ تُعْطَ ، فقال الليثُ : لا أريدُ مالاً ولا عقاراً ولا... ، إنما أريدُ أن لا يُظلَمَ أحدٌ من عبادِ اللهِ في خلافتِكَ يا أميرَ المؤمنين...

إنه واحدٌ من قِمَمِ الأخلاقِ والعلم..

أَجَلْ!

لقد كانَ (الليثُ بن سعد) عالماً في أمور الفقهِ ، وعلومِ القرآن ، وعلومِ الحديث ، وكان ثقةً صدوقاً دقيقاً في الاستنباطِ والنقلِ ، ولذلك نالَ تقديرَ كبارِ العلماءِ والفقهاء والمحدّثين ، ويَكفيه أنه أخذَ عن (نافع) مولىٰ ابن عمر ، وروىٰ عن عطاءِ بن أبي رَباح والزهريِّ وغيرِهم ، ومِنْ أشهرِ تلامذتِه : عبدُ الله بن المبارك ، وعبد الله بن وهب وغيرُهما...

وقد سُئل الإمامُ أحمد بن حنبل عنه فقال : الليثُ كثيرُ العلمِ ، صحيحُ الحديثِ ، ثقةٌ ثَبْتٌ .

ولقد نقلَ التاريخُ لنا رسائلَ بين الإمامِ مالكٍ والليثِ بن سعد ، يُستدلُّ من خلالها علىٰ مدىٰ ما كانَ يتمتّع به الليثُ من مكانةٍ مرموقةٍ بين كبار الفقهاءِ والمحدّثين ، وما أكثرَ ما روىٰ له الأئمةُ الأعلامُ ، من ذلك ما رواه البخاريُّ في صحيحه :

حدثَنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليثُ ، حدثنا سعيد المَقْبُري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبيّ ﷺ : « ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُه آمَنَ عليه البشرُ ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه اللهُ إليّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابِعاً يوم القيامة » .

ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : عن الليثِ بن سعدٍ عن أبي الزُّبير عن جابر بن عبد الله عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « خيرُ ما رُكبتْ إليه الرواحلُ مسجدي هذا ، والبيتُ العتيق » .

ومن أهمِّ ما اتَّصف به (الليث بن سعد) تمسُّكُه الشديدُ بما ورد في القرآن الكريم والسّنة الشريفة ، وذلك عملاً بقول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] . وقوله سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

فهو يرىٰ أن اللهَ سبحانه قد أكملَ لنا الدّينَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] . أما أمورُ الدنيا فلا بأس من التسابقِ والتنافسِ فيها ، ضمن خطِّ الحلالِ والمباح..

... وفي منتصفِ شعبان من عام (١٧٥هـ) أسلمَ الرُّوْحَ إلىٰ بارئها ، ليصبحَ اسمُه في سِجِلِّ

الخالدين ، فسلامٌ عليه في الأوّلين ، وسلام عليه في الآخِرين.. والحمد لله رب العالمين .

* * *

obeikandl.com